



## شاعر الإسلام محمد إقبال ، الشخصية والدور

الدكتور أحمد عيساوي<sup>(\*)</sup>

### تمهيد

تهدف هذه الدراسة الوصفية التحليلية أساساً التعريف بشاعر الإسلام محمد إقبال [١٢٩٤ - ١٣٥٧ هـ / ١٨٧٧ - ١٩٣٨ م]، فيلسوف الشعراء، وشاعر الفلاسفة المسلمين في العصر الحديث، وتقديمه للنخب المثقفة المسلمة في الجنان الغربي من العالم الإسلامي - بلاد المغرب الإسلامي : ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب - لتكون تذكرةً عبر حضارية بين شطري العالم الإسلامي المتناثرين، وصلةً وصل فكريةً ومعرفيةً وثقافيةً وأدبيةً عميقةً بين النخب المثقفة في كلاً الشاطئين المترامبين، فلعلها تتحقق هدفها وتستأنس مقصدتها وتكشف لنا النظرة الأفاقية الاستشرافية الكامنة في حديث رسول الله ﷺ حينما خاطبنا قائلاً : «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكتى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

### مفتاح التعرف على شاعر الإسلام محمد إقبال

أحببت وأنا أعرض لفكر إقبال - على غير عادتي - أن أمهّد له بفقرة من بنيات أفكاره، بدت لي أنها تقدم لنا إقبالَ خيرَ تقديم، كما أنها تكشف عن حقيقة

(\*) أستاذ الدعوة والإعلام والفكر الإسلامي المعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية - جامعة باتنة / الجزائر.

جوانب الشخصية الإقليالية المتعددة الجوانب والأبعاد. حيث يقول في كتابه الشهير (تجديد التفكير الديني في الإسلام) : «.. ما طبيعة الكون الذي نعيش فيه؟ ما بناؤه العام؟ هناك عنصر ثابت في تركيب هذا الكون؟ وكيف تكون بالنسبة إليه؟ وأي مكان نشغل منه؟ وما نوع السلوك الذي يتفق وهذا المكان الذي نشغله؟ هذه المسائل مشتركة بين الدين والفلسفة والشعر العالي الرفيع. غير أن المعرفة المستفادة من هواتف الشعر شخصية بالضرورة، في نوعها وفي طبيعتها، وهي مجازية مبهمة غير محددة . والدين - في أكمل صوره - يسمو فوق الشعر، فهو يتخطى الفرد إلى الجماعة، وفي موقفه من الحقيقة الكلية يتعارض مع عجز الإنسان وقصوره، فهو يفسح مطالبه، ويستمسك بأمثل لا يقل في شيء عن شهود الحق شهوداً مباشراً. فهل من الممكن إذن أن تستخدم في مباحث الدين المنهج العقلي البحث للفلسفة. إن روح الفلسفة هي البحث الحر، تضع كل سند موضع الشك، ووظيفته تفضي فروض الفكر الإنساني، التي يمحضها النقد إلى أغوارها. وقد تنتهي من بحثها هذا إلى الإنكار، أو إلى الإقرار في صراحة بعجز التفكير العقلي البحث عن اكتناه الحقيقة القصوى. أما جوهر الدين فهو - على عكس هذا الإيمان، والإيمان كالطائر يُعرف طريقه الحالي من المعالم غير مسترشد بالعقل»<sup>(١)</sup>.

يكشف هذا النص - حسب فهمي وتصوري المتواضع - حقيقة إقبال من جهة، وحقيقة فكره وتأملاته من جهة ثانية، وجوانب شخصيته المتعددة من جهة ثالثة، التي تتوزع على الأبعاد الستة التالية :

- ١ - إقبال المفكر المتأمل الفيلسوف المتكلم الباحث عن الجوهر والذات والباحث عن الحقيقة المعرفية بالاستدلال.
- ٢ - إقبال العالم الإلهي الصوفي الباحث عن الحقيقة الإشرافية.
- ٣ - إقبال الشاعر صاحب الشعر العالي الرفيع.

٤ - إقبال الصوفي الغارق في سبات الأعماق والأغوار بفلسفة العشق وتأكيد الذات.

٥ - إقبال الداعية المصلح المجدد في الإسلام.

٦ - إقبال المُناهِج والمُدَافِع عن الفكر الإسلامي والمرجعية الإسلامية بنفس الأدوات التي يستخدمها أعداؤه من عقل، تأمل، تفكير، مساءلة، علم، تجربة ...<sup>(٢)</sup>، وهو فوق كل ذلك أحد رموز التجديد في الفكر الإسلامي الحديث، إذ استطاع أن يشكل ظاهرة علمية وفكرية وفلسفية وأدبية ودعوية وسياسية جديرة باهتمام واستقطاب الباحثين والدارسين من مختلف البيئات الفكرية والثقافية ولاسيما الغربيين منهم، حيث بلغت الدراسات التي قامت حوله قرابة الألفي دراسة وبحث ومقال ومصنف<sup>(٣)</sup>. وهذا في حد ذاته مؤشر ومعلم بارز في فكر إقبال.

### مدخل إلى أبجديات البيئة والرجل

يمكن تلخيص وضع الهند والعالم الإسلامي في مطلع العصر الحديث بقول إقبال نفسه حين اختصرها بقوله : « .. إنَّ أمَّنَا مَطْمَثَةً فِي الْغَبَارِ .. »<sup>(٤)</sup>، راداً إياها إلى الأسباب والذوافع التالية:

- ١ - الضعف والانحطاط السياسي للدول وللممالك الإسلامية.
- ٢ - الضعف الثقافي والحضاري أمام المدينة الغربية الفتية الناهضة.
- ٣ - تفشي روح التقليد والتبعية ونبذ روح التجديد والاجتهاد الديني والمدني.
- ٤ - التقليد والتبعية العميماء للمدينة الغربية الوثنية.
- ٥ - تفشي التصوف السلبي المليء بالأوهام والخرافات والأساطير والرواسب الوثنية<sup>(٥)</sup>.
- ٦ - جهل الهند خاصَّة بمعرفة تعاليم الإسلام الصحيحة، المترَّبة عن الأوهام والخرافات والأساطير الهندية ... لاعتبارات سياسية وعدائية ولغوئية<sup>(٦)</sup>.

٧- تآمر الإنجليز مع الهنودس بعد ثورة ١٨٥٧م التي قادها المسلمون ضدّ الاحتلال البريطاني للهند المسلمة، فسلبوا منهم الأموال والممالك والإقطاعات والأراضي.<sup>(٧)</sup>

٨- السيطرة الاستكبارية البريطانية على شبه القارة الهندية، بكلٌ ما ترخر به من موارد طبيعية ومادية، وإمكانات وطاقة بشرية.

٩- بداية تطبيق المخططات التغريبية على المجتمع الهندي عن طريق أطروحة المفكر (سيد أحمد خان)، ومدرسته الفكرية الاستغرابية، ومن خلاله مررت بريطانيا مسراً عنها الاستغرابي على جماهير المسلمين في شبه القارة الهندية.

١٠- تشجيع الإنجليز على ظهور واستفحال حركات الردة والكفر في المجتمع الإسلامي في شبه القارة الهندية، كالحركة القاديانية التي تزعّمها عميل الإنجليز (الميرزا غلام أحمد القاديانى ت ١٩٠٨) والبهائية والبابية.

١١- تراجع وضع المسلمين الاقتصادي والتجاري الاجتماعي، وتفسّي الأمراض والأوبئة والآفات المختلفة : المادية والمعنوية والروحية.<sup>(٨)</sup> وفي ظلّ هذه الأوضاع انطلق إقبال طالباً، وفتىً ناشئاً، إلى أن أصبح فيلسوفاً مفكراً، وشاعراً مبدعاً، ومتصوّفاً ساماً، وداعياً مجددًا، وسياسيًّا بارعاً.

### مدخل إلى حياة محمد إقبال

حفلت حياة محمد إقبال بأحداث جديرة بالاهتمام، بدءاً من ولادته ومنشئه، وتوعية أسرته ورحلته في طلب العلم، وعودته إلى موطنها، فجهاده السياسي والفكري والأدبي، إلى حين وفاته، وهو ما سنحاول عرضه في هذه المحطّات المرتكزة من حياة الرجل.

**الأصل والمنشأ والنسب والمولد :** أسرته : ينحدر إقبال من أسرة برهمية كشميرية أعلنت إسلامها قبل قرنين ونصف القرن من ميلاد إقبال نفسه، وكانت

أسرته تتبع إلى أعيان السادة بكشمير، وقد هاجر جده (الشيخ محمد رفيق) وإخوه من كشمير من قرية (لوهر) إلى مدينة (ساليكوت) هرباً من الاضطرابات السياسية التي كانت قد اجتاحت المنطقة آنذاك، وكان ذلك بحوالي قرن ونصف من ميلاد إقبال نفسه<sup>(٩)</sup>.

واشتهرت أسرته بعدها بتدينها وتصوفها وقيادتها الدينية، وهي التي كانت مبعث الفخر لإقليم إقبال نفسه، الذي كان يفتخر بأصله البرهمي من ناحية الجنس والعرق، وانتهائه للإسلام عن طوعية اختيار<sup>(١٠)</sup>.

وكان والده عاملاً ماهراً في الخياطة والتطريز، كثير الصحبة لأهل العلم والفقه، كثير السؤال والطلب حتى سمه (الحكيم أو الفيلسوف الأمي)، وقد تشدد مع ولده محمد إقبال لأجل حفظ القرآن الكريم حتى حفظه، وكان والده يُسمى (الشيخ نور محمد)<sup>(١١)</sup>.

وكانت أم إقبال (إمام بي) تحسن القراءة والكتابة بالأوردية، مثقفة واعية بدين الإسلام، زانها معه كثرة تقواتها وورعها، حتى أنها رفضت أن تأكل من مال زوجها لإقامة علاقة مشبوهة مع أحد الوزراء آنذاك، وكان الوزير معروفاً بتعاملاته اللاشرعية كأكل الرشوة<sup>(١٢)</sup>، إلى أن بين لها طبيعة علاقته بذلك الرجل، حيث كانت العلاقة بينهما تدور حول مناقشة علمية صوفية. وقد مجد محمد إقبال أمّه في أحد دواوينه بقوله: «.. لقد كانت قبلة وقدوة في الدين والدنيا» ..<sup>(١٣)</sup>، وقد توفيت والدته سنة ١٩١٤ م ١٣٣٣ هـ وتوفي والده سنة ١٩٣٠ م ١٣٤٩ هـ بعد أن عمرها طويلاً<sup>(١٤)</sup>.

**مولده ونشأته وتعلمه:** ولد محمد إقبال يوم ٢٠/٠٣/١٢٩٤ هـ الموافق ٩/١١/١٨٧٧ م بمدينة ساليكوت الهندية<sup>(١٥)</sup>. وقد تلقى العلم في مطالع حياته الأولى على يد والده، الذي علمه شيئاً من القرآن الكريم، ورغب له أن يتعلم الدين الإسلامي فقط<sup>(١٦)</sup>، لمن قارب الخمس سنوات ذهب به والده إلى حلقة (الشيخ غلام حسين) فشرع في حفظ القرآن الكريم، ولمّا رأى (الشيخ

مخايل) الفطنة عليه وأنه يصلح لتعلم العلوم الكوبية أيضاً، أشار على والده بإدخاله إلى المدارس الحديثة، فقبل الأب النصيحة، وأدخل ابنه إلى المدرسة (الإسكتونية) بساليكوت الحديثة، بعد أن حفظ قدرًا معتبراً من القرآن الكريم، بدا ذلك واضحاً في أشعاره<sup>(١٧)</sup>.

وفي المدرسة الحديثة بساليكوت وضعه ولده تحت رعاية صديقه (مير حسن) الذي شرع في تعليمه الأدبين الفارسي والعربي، وفي تلك المدرسة ظهرت فطنته وذكاؤه فنال الكثير من الجوائز<sup>(١٨)</sup>.

وفيها أيضاً تأثيراً تأثيراً بالغاً بأستاذه (مير حسن) العالم المستنير الفكر، الذي حرص على تعليمه والعنابة به علمياً وفقيهاً وثقافياً، لإمامته بالعلوم الدينية والمدنية، وهو أول من رعى شاعرية محمد إقبال الأولى، ووجهه إلى الكتابة باللغة الأوردية بدلاً من اللغة البنجابية؛ لأنَّ اللغة الأوردية هي اللغة الأكثر رواجاً في شبه القارة الهندية بين المسلمين<sup>(١٩)</sup>.

ومن شدة تأثيره بأستاذه (مير حسن) أن رثاء أعظم رثاء عند رحيله إلى إنجلترا عام ١٩٠٥م، وعندما عرض عليه حاكم مدينة (لاهور) تكريمه بلقب (سير) عام ١٩٢٣م اشترط لقبول هذا اللقب أن يكرم أستاذه (مير حسن) ليحمل وسام (شمس العلماء) فأجابت رغبته<sup>(٢٠)</sup>.

**ثقافته ورحلاته العلمية:** في عام ١٨٩٥م اجتاز محمد إقبال امتحان القسم العاشر بأعلى معدل ومنحة ممتازة، ليتقل إلى مدينة (لاهور) حاضرة العلم والأدب والفكر والفن عاصمة البنجاب، المدينة يومها بالنواحي والمجامع التي تحرض على نشر وتعليم اللغة الأوردية، وفي (لاهور) التحق بالكلية الحكومية المعروفة حالياً بكلية إقبال، وبعد عامين من الجد والاجتهاد والعمل والمتابرة التي فاق بها أقرانه حصل على شهادة (أ. ب) الليسانس بامتياز عام ١٨٩٧م مع أوسمة وشهادات شرفية<sup>(٢١)</sup>.

وفي السنة نفسها (١٨٩٧م) عين أستاذًا في الكلية نفسها، وبعدها بعامين (١٨٩٩م) عين في كلية اللغة الشرقية مدرساً للغة العربية إلى سنة (١٩٠٣م)، وهي الكلية التي كان السير (توماس أرنولد) رئيساً لها، فتوطدت بينهما العلاقة إلى وفاة السيد (توماس إرنولد) سنة (١٩٣٠م)<sup>(٢٢)</sup>.

وبعد تدرسيه التاريخ والعربيّة ستين (١٩٠٣-١٨٩٩م) في كلية اللغات الشرقية عين لتدريس الفلسفة واللغة الإنجليزية في الكلية الحكومية (١٩٠٣-١٩٠٥م) بـ(الاهور)، فذاع صيته بين الطلاب والأساتذة وأهل المدينة<sup>(٢٣)</sup>.

وأثناء إقامته بـ(الاهور) أقام صلات عديدة مع رجال الفكر والثقافة والأدب، وانضم إلى جمعية (حماية الإسلام) عام (١٨٩٩م) وصار عضواً بارزاً فيها<sup>(٢٤)</sup>. كما شارك بشعره في نشاطات (جمعية مسلمي كشمير) لتصحيح تصورات الإسلام الخاطئة حول الإسلام في الهند، وصار مديرًا ورئيساً لهذه الجمعية سنة (١٩٠١م)<sup>(٢٥)</sup>.

وفي (الاهور) حاضر وألف وحقق ودعا وناظر وصحيح و.. وقام بواجب الدعوة إلى الله تعالى.

وفي الفترة الممتدة بين سنتي (١٩٠١-١٩٠٤م) حصل محمد إقبال على شهادة الماجستير في الفلسفة (م. أ.)، واحتاز مسابقة القضاة التي رفض فيها نظراً لسوء صحته<sup>(٢٦)</sup>، هذا بالإضافة إلى مشاركاته ونشاطاته المختلفة الفكرية والأدبية والتربوية والدعوية.

وما يلاحظ على حياته الملاحظات التالية :

- ١ - اتسابه لأسرة مسلمة شديدة التمسك بالإسلام، التي علمته مبادئ الدين، وحفظته قدرًا معتبرًا من القرآن الكريم.
- ٢ - تكوينه الطفولي المتأسس على الدين، وذلك بتلقيه العلوم الدينية والعربية واللغوية الأولى في سنِّ حياته الأولى.

● شاعر الإسلام محمد إقبال، الشخصية والدور

- ٣ - ظهور مخايل الفطنة والذكاء عليه مبكراً.
  - ٤ - تفتّق شاعريته منذ طفولته المبكرة.
  - ٥ - تلقّيه العلوم الحديثة.
  - ٦ - حصوله على كل الشهادات العلمية المعتمدة في بلاده.
  - ٧ - تنوع وتوزع نشاطاته الرسمية وغير الرسمية والمهنية والجمعوية.
- رحلته العلمية إلى أوروبا : دفعت محمد إقبال للهجرة إلى خارج وطنه وبالتحديد باتجاه أوروبا جملة من العوامل لعل أهمها الآتي:
- ١ - فشله في النجاح في مسابقة القضاء.
  - ٢ - حصوله على شهادة الماجستير في الفلسفة.
  - ٣ - رغبته الملحة في التعلم وطلب الاستزادة من المدنية الأوروبية الناهضة.
  - ٤ - تشجيع أستاذه وصديقه السير (توماس إرنولد) للهجرة إلى أوروبا.
  - ٥ - حصوله على ثقة ودعم وزارة المعارف للدراسة في أوروبا.

محطّات الرحلة : ولما آن أوان سفره وخروجه من الهند مرّ برموز إسلامية بارزة كالأضرحة والقبور والمزارات لاعتبارات التنبّيـه إلى صدق صـلـته بهويـته الهنـديـة الإـسـلامـيـة، حيث نـزل بـإنـجلـترا أـواـخرـ سـنـةـ ١٩٠٥ـ، حيث حلـ بـجـامـعـةـ (كمـبـريـدـجـ) بـمسـاعـدـةـ أـسـتـاذـهـ وـصـدـيقـهـ (تـومـاسـ إـرـنـولـدـ)، وـسـجـلـ لـدـرـاسـةـ الـفـلـسـفـةـ وـالـحـقـوقـ، وـهـنـاكـ رـبـطـهـ الـعـلـاقـةـ الـعـلـمـيـةـ وـالـفـكـرـيـةـ وـالـثـقـافـيـةـ بـالـوـجـوهـ الـفـكـرـيـةـ وـالـثـقـافـيـةـ فـيـ بـرـيطـانـيـاـ، وـفـيـ الـوقـتـ الـذـيـ كـانـ يـحـضـرـ فـيـ لـدـرـاسـةـ الـدـكـتـورـاهـ عـنـ (تطـورـ الـمـيـتـافـيـزـيـقاـ فـيـ بـلـادـ فـارـسـ) كـانـ عـلـىـ اـرـتـبـاطـ بـكـلـيـةـ الـحـقـوقـ وـالـقـانـونـ، وـنـالـ مـنـهـا شـهـادـةـ الـدـكـتـورـاهـ عـامـ (١٩٠٧ـ)، وـتـوـلـتـ الـجـامـعـةـ نـشـرـهـ عـامـ (١٩٠٨ـ).<sup>(٢٧)</sup>

وـفـيـ رـبـيعـ عـامـ (١٩٠٧ـ) تـوـجـهـ إـلـىـ أـلـمـانـيـاـ، وـسـجـلـ الـدـكـتـورـاهـ فـيـ جـامـعـةـ (ميـونـيـخـ)، وـنـالـ مـنـهـا درـجـةـ الـدـكـتـورـاهـ أـيـضاـ بـالـلـغـةـ الـأـلـمـانـيـةـ عـنـ الـمـوـضـوـعـ نـفـسـهـ المسـجـلـ فـيـ جـامـعـةـ (كمـبـريـدـجـ)؛ لـأـنـ الـجـامـعـاتـ الـأـلـمـانـيـةـ تـهـمـ بـلـغـةـ الـكـتـابـةـ أـولاـ ثـمـ

بمضمونها ثانياً. ثم عاد إلى (لندن) سنة (١٩٠٨) ليجتاز امتحان القضاء والمحاماة ومعهما نال إجازة مادتي السياسة والاقتصاد<sup>(٢٨)</sup>.

وفي (لندن) عمل في جامعة (كمبريدج) أستاذًا للغة العربية بتوجيهه وتنزكية من أستاده (توماس إرنولد). وفي أوروبا اطلع على أدب وفكر وثقافة ومعرفة كبار الأدباء والشعراء والكتاب وال فلاسفة، كما حاضر وناظر ودافع عن الإسلام ومرجعيته المقدسة، ورد كل مطاعن المستشرقين والمستغربين، فعد بذلك باحثاً دينياً<sup>(٢٩)</sup>.

وظل طيلة بقائه في أوروبا يُعرف بذلك الفتى الهندي المسلم، المدافع عن حمى الإسلام، الناقد للمدنية الغربية الضالة، حيث يقول عنها في إحدى قصائده: «.. يا ساكني ديار الغرب، ليس أرض الله حانتاً، إنَّ الذي تتوهّمونه ذهباً خالصاً سترونه زائفَاً، وإنَّ حضارتكم ستذبح نفسها بخنجرها، إنَّ العشَّ الذي يُبني على غصنِّ دقيق لا يثبت، إنَّ بريق العلوم الغربية لم يستطع أن يهير لبِّي ويعشي بصرِّي، وذلك لأنّي اكتحلت بإيمانِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ...»<sup>(٣٠)</sup>.

وفي أوروبا ظل إقبال يُعرف بالفتى الهندي المسلم المدافع عن دينه وأمته، وانضمَّ في إنجلترا إلى (جمعية مسلمي العالم) تعبراً عن انتماشه الوحيد للإسلام، الذي طالما اعتزَّ وفاخر به دوماً<sup>(٣١)</sup>.

وما يلاحظ على حياته في أوروبا الآتي:

- ١- حصوله على شهادتي الدكتوراه من أكبر وأعرق الجامعات الأوروبية (كمبريدج) بالإنجليزية، (ميونيخ) بالألمانية.
- ٢- حصوله على شهادة المحاماة والإجازة فيها.
- ٣- تخصصه في دراسة القانون السياسي والاقتصادي.
- ٤- إتقانه للغة العالمية أخرى هي اللغة الألمانية.
- ٥- اتصاله برجال الفكر والأدب والفن والثقافة في أوروبا.

● شاعر الإسلام محمد إقبال، الشخصية والمدحور

- ٦- تمسكه بأصالته ودينه ومبادئه الإسلامية، ورفضه الانسلاخ والتبغية كما فعل الكثير من المبتعثين العرب.
- ٧- مدافعته عن الإسلام وعن الأمة الإسلامية على العكس من المبتعثين العرب في أوروبا.
- ٨- عدم انبهاره بحضارة ومدنية الغرب الزائفة، التي كان دائم النقد لها. عودته إلى وطنه : وبعد هذه الرحلة العلمية المثمرة عاد إلى وطنه في صيف (١٩٠٨م)، وكان في استقباله حوالي مائة وخمسين رجلاً من خيرة المثقفين المسلمين الهنديين، فزار ضريحاً لولي مسلم إيماناً منه بإسلامية الهند، وتذكيراً ل الإسلامي الهند بالإسلام<sup>(٣٢)</sup>.

وفي الهند اشتغل بالوظائف التالية :

- ١- عمل بالتدريس في الكلية الحكومية، فدرس الفلسفة والأدبين العربي والإنجليزي، وبعد مضي ستين استقال من التدريس ليتفرّغ لرئاسة قسم الفلسفة والدراسات الشرقية<sup>(٣٣)</sup>.
- ٢- عمل بالمحاماة والدفاع عن قضايا الإسلام والمسلمين في شبه القارة الهندية.
- ٣- التفرّغ لخدمة الدين والدعوة الإسلامية.
- ٤- الكتابة والتأليف في الأدب والفن والفكر والثقافة والدعوة وفي الشعر خاصة<sup>(٣٤)</sup>.
- ٥- الانخراط في الجمعيات الاجتماعية والثقافية والفكرية والأدبية كجمعية (حماية الإسلام) والجمعية (العلمية المالية) سنة ١٩٢٧م<sup>(٣٥)</sup>.

### العوامل المؤثرة في شخصية محمد إقبال

اجتمعت جملة من العوامل الفعالة للتأثير في شخصية الشاعر محمد إقبال وتكوين المعالم الأساسية في شخصيته لعل أهمها:

- ١- ثقافته الإسلامية الأصيلة، وتربيته وتكوينه الإسلامي الأصيل الأول في أسرته، المتأسس بالصرامة والجدة والبساطة والتواضع.
- ٢- ثراء ثقافته الأدبية واللغوية المتعددة: الأوردية، الفارسية، البنجانية، الإنجليزية، الألمانية، العربية.
- ٣- ثقافته الدينية الواسعة، وتدينه الشديد، وتأثيره بوصايا أستاذة الشيخ (مير حسن).
- ٤- اطلاعه على الثقافة الغربية في موطنها ومعايشتها بين متجميئها.
- ٥- ظروف وواقع المسلمين المتردّي في شبه القارة الهندية المتأسس بالتردد والانحطاط.
- ٦- ظروف وواقع المسلمين العالمي المُشابه لأوضاع المسلمين في الهند.
- ٧- سقوط الممالك الإسلامية القوية : المملكة المغولية في الهند، المملكة الصفوية في إيران، الخلافة العثمانية.
- ٨- شاعريته وحساسيته المفرطة في استبصار الأشياء وتلمح القضايا والتعامل المرهف مع سائر شؤون الحياة الروحية والمعنوية والأدبية والواقعية والمادية.
- ٩- إيمانه الراسخ بر رسالة الإسلام الخالدة، رسالة الشرق الإسلامي الحضارية المنقذة للمدينة الغربية الضالة.
- ١٠- طبيعة العلاقة القائمة بين الغرب المسيحي الاستكباري والشرق الإسلامي المستبعد<sup>(٣٦)</sup>.

### نشاطاته المختلفة

بالرغم من تعدد جوانب شخصية محمد إقبال العلمية والفكرية والثقافية والأدبية والدينية والسياسية، وتحصّله في السياسة والاقتصاد والقانون والمحاماة،

إلا أنه لم يستغل بالسياسة إلا في آخريات حياته، حوالي سنة (١٩٢٤م)، مدفوعاً بعدة اعتبارات ذاتية و موضوعية على رأسها ظلم وجور الإنجليز، و قسوة الحكام الهندوس، و فظاعة الجرائم التي ترتكبها الأغليمة الهندوسية ضد المسلمين. الأمر الذي اضطره لدخول معركة الانتخابات التشريعية سنة (١٩٢٦م) و فاز فيها ممثلاً عن مسلمي الهند، و ظلّ عضواً في مجلس الشورى لإقليم البنجاب المسلم، وأصدر عدة قرارات شرعية لصالح المسلمين الهنود، كما ترقى فصار رئيساً لمجلس شورى الإقليم سنوات (١٩٢٧ - ١٩٣٠م)<sup>(٣٧)</sup>.

وعلى ضخامة مشكلات المسلمين في شبه القارة الهندية وما يتعرضون له من قهر واعتداء، و ظلم على يد الإنجليز والهندوس، بحيث ينشغل انشغالاً تاماً بهموم وطنه الصغير، إلا أنَّ عينه كانت ترنو أفقه الإسلامي القريب والبعيد، فقد تعدد نشاطات سائر قضايا العرب والمسلمين ولا سيما قضيتهم المركزية فلسطين<sup>(٣٨)</sup>.

ولمَّا بدت صورة المستقبل السياسي لشبه القارة الهندية ترسم في الأفق القريب، و ظهر خطر ضياع أمل المسلمين في الاستقلال اقترح عليه الزعيم (السيد محمد علي جناح) ترؤس الجلسة الافتتاحية السنوية للرابطة الإسلامية يوم ١٧/٠٨/١٩٣٠م، وألقى فيها خطاباً مؤثراً، شَكَّل بداية التفكير في تقسيم الهند إلى كيانين، أحدهما هندوسي، و الثانيهما إسلامي. وكان خطابه السابق في طرح مسألة التقسيم للكيانين، وبناء الكيان الإسلامي السياسي في شبه القارة الهندية، والتي شَكَّلت خطاباً تمهدياً لمطالب الرابطة الإسلامية والجماعة الإسلامية لقيام دولة الطاهرين في شبه القارة الهندية (باكستان)<sup>(٣٩)</sup>.

وفي عام (١٩٣١م) قام إقبال برحلة علمية و فكرية و ثقافية و دعوية زار فيها الكثير من العواصم الأوروبية كروما، باريس، لندن، مدريد، قرطبة، كما زار بعض العواصم العربية آنذاك كالقاهرة، القدس، فحاضر، و ناظر، و خطب، و دعا إلى ضرورة معرفة الإسلام حق معرفته، وإلى ضرورة إنصاف المسلمين في حقوقهم

السياسية، وفي إنشاء كياناتهم المستقلة<sup>(٤٠)</sup>.

وبين سنتي (١٩٣٠) و (١٩٣٥) قام بعده نشاطات وزيارات سياسية، التقى فيها بأمير الجماعة الإسلامية، إلى أن ضغف بصره، وفترت قوته، وتدورت صحته، فلزم البيت وسرعان ما خطفت يد الأقدار منه روح زوجته يوم ٢٣/٥/١٩٣٥، فحزن لفراقها، واشتدّ به المرض وتوفي يوم ٢١/٤/١٩٣٨ م<sup>(٤١)</sup>.

### آثاره العلمية والأدبية

لمحمد إقبال آثار فكرية وفلسفية وثقافية وأدبية ولغویة باللغات الفارسية والأوردية والإنجليزية والبنجابية والعربية والألمانية. أمّا آثاره باللغة الفارسية فكُلُّها منظومات شعرية، وباللغة الأوردية مقرّرات تعليمية، أو منظومات شعرية، أمّا باللغة الإنجليزية فهي بحث الدكتوراه، ومجموعة المحاضرات والدروس والخطب واللقاءات والحوارات والرسائل، وبالألمانية رسالته الدكتوراه، وبالعربية بعض محاضراته وخطبه ورسائله وأشعاره<sup>(٤٢)</sup>. أمّا آثاره المطبوعة فقد بلغت ثلاثة وعشرين مؤلفاً شعرياً ونشرياً في شتّي المعارف والفنون والأداب<sup>(٤٣)</sup>.

### مساهماته ونشاطاته المختلفة

ساهم إقبال مساهمةً فعالة في الكثير من الميادين وال مجالات، فقد خدم الإسلام، ودعا إليه، ودافع عنه، وقد عبر عن ذلك في أمنيته فقال : «.. إنَّ أمنيتي أن أكون خادماً لخلق الله ما امتدَّت بي الحياة»<sup>(٤٤)</sup>. كما اضطُّلَّ بخدمة قضايا العرب والمسلمين المحلية والعالمية، وتعزيز موقعهم بين الأقوياء المتغلبين<sup>(٤٥)</sup>.

### موقفه من المدينة الغربية ودعاة التغريب

لمحمد إقبال مواقف فكرية واضحة من سائر قضايا عصره الأدبية والفكرية الثقافية والسياسية والاجتماعية والدعوية المحلية والعالمية، لعل أهمّها موقفه من المدينة الغربية، ومن دعاة التغريب في العالم الإسلامي،

وباستعراض بعض أفكاره نقترب منه، حيث يحدد موقفه من المدينة الغربية بحكم احتكاكه بها احتكاكاً مباشراً، متاثراً من حالة الذهول والانبهار التي كان عليها الكثير من الدارسين العرب وال المسلمين، ما دفع بعضهم إلى الانسلاخ من دينهم وأمتهنهم، وفي معرض ذمه لهذه المدينة المتأكلة الضالة، التي تأسست على الثورة على الدين، مقدمة نفسها بدليلاً للدين، عبر معابدها الوثنية في الثقافة والفن والأدب والاقتصاد والمال والتكنولوجيا وال العلاقات قوله : « .. ولكن إياك والحضارة اللاحدينية التي هي في صراع دائم مع أهل الحق، إن هذه الفتنة تجلب فتنةً وتعيد اللات والعزى إلى الحرم. إن القلب يعمى بتأثير سحرها، وإن الروح تموت عطشاً في سرابها، إنها تقضي على لوعة القلب، بل تنزع القلب من القالب، إنها لصٌ قد تمرّن على اللصوصية فيُغيّر نهاراً جهاراً، وإنها تدع الإنسان لا روح ولا قيمة فيه .. »<sup>(٤٧)</sup>.

هذه المدينة التي تأسست على تبديل وتغيير فطرة الإنسان التي فطر الله الناس عليها، هذه المدينة التي حولت كل شيء إلى تجارة وربح وخسارة، حيث يقول : « .. إن شعار هذه المدينة الغارة على الإنسانية والفتوك بأفراد النوع البشري، وإن شغلها الدائم التجارة، إن العالم لا يسعد اليوم بالسلام والهدوء والحب البريء والنزية، وبالإخلاص لله تعالى، إلا حين تنهار هذه المدينة »<sup>(٤٨)</sup>.

هذه المدينة التي شعارها الفتوك بالإنسان والإنسانية، فيعيّب عليها قائلاً : « إن شعار الحضارة الحديثة الفتوك بيني آدم، الذي تقوم عليه تجارتها، وتتفق سلطتها، ليست هذه المصادر العظيمة إلا وليدة دماء اليهود الأذكياء، الذي انتزع نور الحق من صدور بني آدم، إن العقل والحضارة والدين حلم من الأحلام ما لم يعد هذا النظام رأساً على عقب »<sup>(٤٩)</sup>.

هذه المدينة الشابة بحداثة سنها وعمرها، المنهارة بانهيار قيمها الزائفة : « إنها حضارة شابة - بحداثة سنها، وبالحيوية الكامنة فيها - ولكنها محتضرة تعاني سكرات الموت، وإن لم تمت حتف أنفها فستتحرر وتقتل نفسها بخنجرها، ولا

غرابة في ذلك، فإنَّ كُلَّ وَكِرْ يقوم على عَصْنٍ لِيُسْ لَهُ استقرار، سينهار حتماً. ولا يستغرب أن يرث تراثها الديني ويدير كنائسها اليهود. إنَّ أَسَاسَ هَذِهِ الْحَضَارَةِ ضعيف منها، وجدرانها من زجاج لا تتحمل صدمة»<sup>(٥٠)</sup>.

فهي تكبر وتتضخم بغير روح، ولقد : «تضخم فيها العلم وقدّمت صناعتها، ولكنَّها بحر الظلمات ليست فيه عين الحياة. إنَّ أَبْنَيَةَ مصارفها تفوق أَبْنَيَةَ الكنائس في جمال البناء وحسن المظهر والنَّظافة. إنَّ تجارتَها قمارٌ يربح فيه واحدٌ ويُخسر الملايين. إنَّ هَذَا الْعِلْمُ وَالْحُكْمُ وَالْسِّيَاسَةُ وَالْحُكْمُونَ الَّتِي تَبْجُحُ بِهَا أُورْبَا مَا هِي إِلَّا مَظَاهِرٌ جَوْفَاءُ لَيْسَ وَرَاءَهَا حَقِيقَةً. إنَّ قادتها يَمْتَصُّونَ دَمَاءَ الشُّعُوبِ، وَهُمْ يُلْقَوْنَ درسَ الْمَسَاوَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْعَدْلَ الْاجْتِمَاعِيَّةِ»<sup>(٥١)</sup>.

إنَّهَا مَدْنِيَّةٌ مُفْلِسَةٌ حَانِرَةٌ لَأَنَّ: «الْبَطَالَةُ وَالْعَرَبِيُّ وَشُرْبُ الْخَمْرِ وَالْفَقْرُ هُيَ فَتْوَحُ الْمَدْنِيَّةِ الإِفْرَنجِيَّةِ. وإنَّ الأُمَّةَ الَّتِي لَا نَصِيبُ لَهَا فِي التَّوْجِهِ السَّمَاوِيِّ وَالتَّنْزِيلِ الإِلَهِيِّ غَايَةُ نَبُوغِهَا تَسْخِيرُ الْكَهْرَباءِ وَالْبَخَارِ. إنَّ الْمَدْنِيَّةَ الَّتِي تَتَحَكَّمُ فِيهَا الْآلاتُ، وَتُسَيِّطُ فِيهَا الصَّنَاعَةُ تَمُوتُ فِيهَا الْقُلُوبُ، وَيُقْتَلُ فِيهَا الْحَنَانُ وَالْوَفَاءُ، وَالْمَعْانِي الْإِنْسَانِيَّةُ الْكَرِيمَةُ»<sup>(٥٢)</sup>.

وقد أفرزت لنا هذه المَدْنِيَّةُ الْمُتَوَحِشَةُ نوعاً هَجِيْنَا مِنَ الْبَشَرِ، إِنَّهُ الْإِنْسَانُ الْمَادِيُّ الطَّبِيعِيُّ الْأُورَبِيُّ: «الرَّجُلُ الْعَصْرِيُّ بِمَا لَهُ مِنْ فَلْسِفَاتٍ نَقْدِيَّةٍ، وَتَخْصُّصٌ عَلَمِيٌّ يَجِدُ نَفْسَهُ فِي وَرْطَةٍ، فَمَذْهَبُهُ الطَّبِيعِيُّ قَدْ جَعَلَ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى قَوْيِ الْطَّبِيعَةِ لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ، لَكِنَّهُ قَدْ سَلَبَهُ إِيمَانَهُ فِي مَصِيرِهِ هُوَ .. الْإِنْسَانُ الْعَصْرِيُّ، وَقَدْ أَعْشَاهُ نَشَاطَهُ الْعُقْلِيِّ، فَكَفَّ عَنْ تَوْجِيهِ رُوْحِهِ إِلَى الْحَيَاةِ الْرُّوحَانِيَّةِ الْكَامِلَةِ، أَيْ إِلَى حَيَاةِ رُوْحِيَّةٍ تَغْلُغُلُ فِي أَعْمَاقِ النَّفْسِ، وَهُوَ فِي حَلْبَةِ الْفَكْرِ فِي صَرَاعٍ صَرِيعٍ مَعَ نَفْسِهِ، وَهُوَ فِي مَضْمَارِ الْحَيَاةِ الْاِقْتَصَادِيَّةِ وَالْسِّيَاسِيَّةِ فِي كَفَاحٍ صَرِيعٍ مَعَ غَيْرِهِ، وَهُوَ يَجِدُ نَفْسَهُ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى كَبِحِ أَثْرَتَهُ الْجَارِفَةُ، وَجَبَّهُ لِلْمَالِ حَبَّ طَاغِيًّا، يَقْتَلُ كُلُّ مَا فِيهِ مِنْ نَضَالٍ سَامٍ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَلَا يَعُودُ عَلَيْهِ مِنْهُ إِلَّا تَعبُ الْحَيَاةِ، وَقَدْ اسْتَغْرَقَ فِي الْوَاقِعِ ... فَأَصْبَحَ مَقْطُوْعَ الصلَاتِ بِأَعْمَاقِ وَجُودِهِ، تَلَكَ الْأَعْمَاقُ الَّتِي لَمْ يَسْبِرْ غُورُهَا بَعْدَ،

وأخفَّ الأضرار التي أعقبت فلسفته المادية، هي ذلك الشلل الذي اعترى نشاطه،  
والذي ذكره "هكسلي" وأعلن سخطه عليه ..<sup>(٥٣)</sup>

إنَّ إقبال لا يفصل بين المدينة الغربية الرأسمالية الجمهورية والملكية  
والشيوعية، فهما في نظره وجهين لعملة واحدة فهو يرى أنَّ «الاشتراكية المُلحدة  
الحديثة لها نظرة أوسع أفقاً، لكنها قد استمدت أساسها الفلسفية من المتطرفين من  
 أصحاب مذهب "هيجل"». وقد أعلنت العصيَان على ذات المصدر الذي كان  
يمكن أن يمدَّها بالقوَّة والهدف. وهي إذن ليست بقادرة على أن تشفي عَلَى  
الإنسانية ... إنَّ الغربيين فقدوا القيمة الروحية والحقائق الغيبية، وذهبوا يبحثون عن  
الروح في المعدة. إنَّ الروح ليست قوئها وحياتها من الجسم، ولكن الشيوعية لا  
شأن لها إلَّا بالمعدة والبطن، وديانة ماركس مؤسسة على مساواة البطون. إنَّ  
الأخوة الإنسانية لا تقوم على وحدة الأجسام والبطون، إنَّما تقوم على محبَّة  
القلوب وإلفة النفوس ... إنَّ الملكية والشيوعية تلتقيان على الشره والنهama،  
والقلق والسامة، والجهل بالله، والخداع للإنسانية. والحياة عند الشيوعيين خروج،  
وعند الملكية خراج ... والإنسان البائس بين هذين الحجرين قارورة زجاج. إنَّ  
الشيوعية تقضي على الدين والعلم والفن، والملكية تنزع الروح من أجسام  
الأشياء، وتسلب القوت من أيدي العاملين الفقراء. لقد رأيت كليهما غارقتين في  
المادة. جسمهما قويٌّ ناضر، وقلبيهما مظلم فاجر ...<sup>(٥٤)</sup>

### موقفه من دعوة تغريب العالم الإسلامي

وكم موقفه من المدينة الغربية المفلسة، يقف إقبال موقفه من دعوة تغريب  
العالم الإسلامي، ولا سيما ممَّن يتبنّون الطروحات التغريبية كمشروع بدائل  
للطروحات الإسلامية في بناء الحضارة الحديثة. هذا الاتجاه الذي لاقى - وما زال  
يلتقي - إقبالاً فكريًا وواقعيًا لدى الكثير من النخب المتأخرة العربية والإسلامية.  
وقد حذَّر إقبال موقفه منهم، مبيناً لهم عجز المدينة الغربية وقصورها عن إسعاد

أهلها وأصحابها تمام السعادة، فكيف تعجز لدى أهلها وتفلح عند غيرهم لأنّها : «حضرارة قد أشرفت على الموت، فهي لا تستطيع أن تُحيي غيرها، وقد جزت من إحسان هذه البلاد الشرقية إساءة من جانبها، وكانت خيرها بشر، فقد منحها الشام نبياً، رسالته العفة والمواساة والرحمة، ومقابلة الشر بالخير، والظلم بالعفو، وقد منحته أوربا - بدورها و مقابل كل ذلك - الخمر والقمار والفجور وهجوم المؤسسات»<sup>(٥٥)</sup>.

وقد عاب في معرض رده ونقده لدعوة التجديد في الشرق الإسلامي ارتماءهم في أحضان المدينة الغربية، وانسلاخهم من ماضيهم التليد، وتقليلهم الأرعن والأعمى للغرب، بحجّة التقليد والعصرنة والحداثة، فقال عن هؤلاء المتأgressين : «إنني يائسٌ من زعماء التجديد في الشرق، فقد حضروا في نادي الشرق بأكواب فارغة، وبضاعة مزاجة من العلم والفكر ... إنَّ البحث عن برق جديد في هذا السحاب عبثٌ وإضاعةٌ وقت، فقد تجرّد هذا السحاب الجهام عن البرق القديم، فضلاً عن البرق الجديد»<sup>(٥٦)</sup>.

داعياً أمته للتجديد والاجتهاد، ورفض كل أشكال التقليد الأعمى للغير، لأنَّ التقليد هو الذي يقتل حياة الأمم، ويدعو المسلمين إلى الانطلاق نحو التجديد قائلاً : «لا تعطل شخصيتك أيها المسلم بالتقليد الأعمى، واحتفظ بكرامتك فإنَّها جوهر الفرد. إنَّ التجديد بمعنى التغريب لا يليق بأمة لا تفكِّر إلا في الدعوة والترف . إنَّني أخاف أنَّ الدعوة إلى التجديد إنما هي حيلة وانتهاز لفرصة تقليد الغرب»<sup>(٥٧)</sup>.

وفي معرض رده ونقده على التجربة الكمالية في تركيا، وترديها الأعمى في تقليد الغرب وتبعيته، وثورتها على الدين الإسلامي يقول : «إنَّ كمال الذي تغنى بالتجدد في حياة تركيا، ودعا إلى محو كلَّ أثر قديم، وتراث قديم. ولكنَّه جهلَ أنَّ الكعبة لا تجدد، ولا تعود إلى الحياة والنشاط إذا جُلبتُ لها من أوربا أصنامٌ جديدة. إنَّ زعيم تركيا لا يملك اليوم أغنية جديدة، إنما هي كلُّها أغان

مرددة معادة، تتغنى بها أوربا من زمان. إنَّ الجديد عنده هو القديم الأوروبي الذي أكل عليه الدهر وشرب، وليس في ضميره عالمٌ حديث، فاضطر إلى أن يتจำกاً بـ مع العالم الأوروبي المعاصر، إنَّه لم يستطع أن يقاوم وهج العالم الحديث فذاب مثل الشمعة وفقد شخصيَّته»<sup>(٥٨)</sup>.

### موقفه من الحضارة الإسلامية وواقع المسلمين اليوم

يمكن تلخيص موقف إقبال من خلال قصيدة الشهيرة (شكوى)، وقصيدة الشهيرة الثانية (جواب الشكوى) اللتين أنسدَهما قبل رحلته العلمية إلى أوروبا سنة (١٩٢٧م)، نقتطف منها هذه الأبيات :

ونجوم ليلي خسدي أم عُودي  
قطع الزمان طريق أمسى من غدي  
تبكي الربى بأنينها المتجدد  
ومدمعي كالطلُّ في الفصن الندى  
خرساء لم ترزق براعة متشد  
لكنما هي قصة الأشجان  
أشكوا مصاب الدين للدين  
إلا لحمد علاقك في الأكونان  
روضا وأزهارا بغير شميم  
وأحضر في البستان كل هشيم  
نهج الهدى ومعالم الإيمان  
سرنا على موج البحار بحارا  
قبل الكتاب يفتح الأمصارا  
نصب المنيا حولنا أسوارا  
صنع الوجود وقدر الأقدارا

شكواي أم نجواي في هذا الدُّجى  
أمسيت في الماضي أعيش كائناً  
والطير صادحة على أفنانها  
قد طال تسهيدها وطال نشيدها  
إلي متى صمتى كأني زهرة  
أنا ما تعديت القناعة والرضى  
أشكو وفي فمي التراب، وإنما  
يشكو لك اللهم قلب لم يعش  
قد كان هذا الكون قبل وجودنا  
لما أطلَّ محمد زكت الربى  
نحن الذين بنور وبحك أوضحوا  
كما جبالا في الجبال وربما  
بمعابد الإفرنج كان أذاناً  
لم نخش طاغوتاً يحاربنا ولو  
ندعوا جهاراً لا إله سوى الذي

نوراً يضيء بصحبة الأزمان  
في الكون مسطوراً بها القرآن  
شرف السجود بيتك المعمور  
يحيوي جلال كتابك المسطور  
واستيقظت من قبل نفح الصور  
فكأنهم موتى بغیر شعور  
وغردت منازلها ظلال قبور  
حتى انطروا في محنّة وعذاب  
عن ذنبه في الدّهر يوم عقاب  
للموت بين الذل والإملاق<sup>(٥٩)</sup>

توحيدك الأعلى جعلنا نقشه  
فغدت صدور المؤمنين مصاحفاً  
رحماك رب هل بغیر جهاهنا  
كانت شغاف قلوبنا لك مصحفاً  
قد هبت الأصنام من بعد البلى  
والكعبة العلية توارى أهلها  
وقوافل الصحراء ضلّ حداتها  
فإذا وهى الإسلام في أبنائه  
عاقبتنا عدلاً فهب لعدونا  
عاشوا بثروتنا وعشنا دونهم

وقد ردَّ محمد إقبال على نفسه بقصيدته الثانية (جواب الشكوى) نقتطف منها قوله:

وتدركه القلوب بلا عناء  
وشقّ أنيته صدر الفضاء  
جرت في لفظه لغة السماء  
حديثاً كان علوى النداء  
بني في الشمس ملك الأوّلينا  
فعاشوا في الخالق مهمّلينا  
أرى أمثال آزر في البنينا  
وكيف ينال عهدي الظالمينما  
ولا دنيا لمن لا يحيي ديننا  
فقد جعل الفناء لها قرينا<sup>(٦٠)</sup>

كلام الروح للأرواح يسري  
هتفت به فطار بلا جناح  
ومعدنه ترابي ولكن  
لقد أمضت دموع العشق مني  
ولكن أخذوا في خير دين  
تراث محمد قد أهملوه  
أياكم كان إبراهيم لكن  
لقد ذهب الوفاء، فلا وفاء  
إذا الإيمان ضاع فلا أمان  
إذا الإيمان ضاع فلا أمان

والقارئ المستبصر في هاتين القصيدتين سيكتشف دونما عناء إسلامية إقبال الحارة، وصفاء تصوره النقى، وتمييزه بين المدينة الغربية الضالة، وبين الحضارة الإسلامية الراسدة. والحق أنَّ لإقبال مواقف متعددة حيال قضايا الأمة الإسلامية الفكرية والثقافية والأدبية والفنية والفلسفية النظرية والواقعية، عرضها في شعره ونشره وكتاباته<sup>(٦١)</sup>.

## جوانب شخصية إقبال

محمد إقبال شخصية متعددة الجوانب، ممتدة النشاطات، متشعبة العطاءات، فإقبال داعية إسلامي نشيط، ومصلح ديني غيور، وفيلسوف بعيد الغور، ومفکر فضائي التأمل والبرهان، ومتصوّف إشرافي التحليق، وسياسي قدير ومحنك، وفوق كلِّ هذا وذاك فهو شاعر مُرهف الشاعرية، ولقد اشتهر لدى الدارسين والباحثين العرب والمسلمين وغيرهم بلقب (شاعر الإسلام)<sup>(٦٢)</sup>.

ولعلنا نعرض بعض الجوانب المهمة من شخصيته، نوجزها في الجوانب الأربع التالية : ١ - إقبال الفيلسوف، ٢ - إقبال الشاعر، ٣ - إقبال الداعية المفكّر، ٤ - إقبال المتصوّف.

### الجانب الأول : إقبال الفيلسوف

فكّر إقبال في معضلة المسلمين الحديثة، بحكم تخصّصه وتضلعه في الفلسفة، فرأى واقع المسلمين المتمسّ بالضعف والتخلّف والجمود، وتساءل كما فعل من سبقة من المفكّرين والمصلحين، وردّ سبب ذلك كله إلى ضعف وترابع العقل المسلم عن الابتكار والتجديـد، وذلك بتجميد الاجتهاد والخنوع إلى السلبية الصوفية، والتقليد الأعمى، أو إلى الانسياق الأرعن والأعمى لتقليد ومحاكاة الغرب الأوروبي:

وبناءً على تصوره للمشكلة، وتصوره لأسبابها ودوافعها وضع إقبال تصوره لمعالجة عمق معضلاتها في الجانب الفلسفي، تجلّت في كتابه الشهير (تجديـد

التفكير الديني في الإسلام) الذي هو عبارة عن ست محاضرات ألقاها سنة (١٩٢٨م) في جامعة (مدرس) بطلب من جمعيتها الإسلامية، ثم نُشر كتاب سنة (١٩٣٠م) بلندن، وترجم إلى العربية سنة (١٩٥٥م) بترجمة المفكر الأستاذ (عباس محمود العقاد)<sup>(٣٣)</sup>.

ولقد حدد إقبال في مقدمة كتابه منهجه الفلسفى والبحتى في التعامل مع قضايا الفكر الإسلامي بقوله : «ولقد حاولت في هذه المحاضرات التي أعددتها بناءً على طلب الجمعية الإسلامية بمدرس، وألقيتها في (مدرس) و (حيدر آباد) و (عليكرا)، بأن أحاول بناء الفلسفة الدينية الإسلامية بناءً جيداً، آخذناً بعين الاعتبار المأثور من فلسفة الإسلام، إلى جانب ما جرى على المعرفة الإنسانية من تطور في نواحيها المختلفة، واللحظة الراهنة مناسبة كلَّ المناسبة لعمل كهذا. لقد تعلمت الطبيعتيات القديمة نقد أسسها التي قامت عليها أولاً، فأدَّى هذا النقد إلى سرعة اختفاء المادية التي قالت الطبيعتيات بوجودها أول الأمر ... وليس ببعيد ذلك اليوم الذي يكشف فيه كلَّ من الدين والعلم اتفاقاً متبادلاً بينهما لم يكن حتَّى اليوم متَّظِراً ... على أنه ينبغي ألا يغيب عن أذهاننا أنَّ التفكير الفلسفى ليس له حدٌ يقف عنده، فكلَّما تقدمت المعرفة، وفتحت مسالك جديدة للتفكير، أمكن الوصول إلى آراء أخرى، غير التي أثبتتها في هذه المحاضرات، وقد تكون أصحَّ منها. وعلى هذا فواجبنا يقضي أن نرقب في يقظة وعناية تقدم الفكر الإنساني، وأن نقف منه موقف النقد والتمحيص»<sup>(٤٤)</sup>.

وبعد أن حدد محمد إقبال منهجه الفلسفى في بحث ودراسة الفكر الفلسفى في الإسلام، والذي يراه قائماً على مستويين، أوَّلُهما : التراث الفلسفى الإسلامي من جهة . والتراكيم الخبراتي الإنساني من جهة ثانية. وهما عمدتاً في فهم المعضلات الكبرى في الفلسفة الإسلامية، انطلق عبر محاضراته الست لتناول أهم قضايا الفكر الفلسفى في الإسلام فيها، وهي: المعرفة الرياضية والدينية، البرهان

الفلسفي على ظهور التجربة الدينية، والألوهية ومعنى الصلاة، روح الثقافة الإسلامية، مبدأ الحركة في بناء الإسلام، هل الدين أمر ممكّن.

وقد تميّز طرّحه في المحاضرة الأولى بتناول معضلة المعرفة العلمية وطبيعتها ومنهجها، والمعرفة الدينية، وذلك في شكل تساؤلات فلسفية حرّة عن طبيعة الكون الذي نعيش فيه، والسؤال عن بنائه العام، والسؤال عن العناصر الثابتة والمتغيّرة فيه، وموضع الإنسان الذي يشغله الإنسان في هذا البناء، في طرح فلسيّ تشتّرّك فيه الفلسفة مع الدين.

ثم انطلق بعد ذلك للإجابة على تساؤلاته تلك، محاولاً توضيح طبيعة التناقض بين تساؤلات المفكّر الفيلسوف، والعالم المتدين، في سياق تألفي لا تجد ثمة فرق بين تساؤلات العالم الديني والفيلسوف، على اعتبار عدم تناقض العلم والدين، فيقول : «على أن النّظر العقلي في الإيمان ليس معناه التسلّيم بتعالى الفلسفة على الدين، فللفلسفة من غير شك حق الحكم على الدين، ولكن طبيعة ما يُراد الحكم عليه لن تُذعن لحكم الفلسفة، إلا إذا كان هذا الحكم قائماً على أساس ما يضعه هو من شرائط. وعندما تنهي الفلسفة للحكم على الدين لا تستطيع أن تفرد له مرتبة دنيا بين الموضوعات التي تتناولها. فالدين ليس أمراً جزئياً، وليس فكراً مجرّداً فحسب، ولا شعوراً مجرّداً، ولا عملاً مجرّداً، بل هو تعبير عن الإنسان كله، ولهذا يجب على الفلسفة عند تقديرها للدين أن تعرّف بوضعه الأساسي، ولا مناص لها عن التسلّيم بأنّ له شأنًا جوهريًا في التأليف بين ذلك كله تأليفاً يقوم على التفكير»<sup>(٦٥)</sup>.

ثم يعكف بعد ذلك على استعراض التراكم الفلسفي القديم، ولا سيما اليوناني منه، ماراً بسقراط، الذي قصر كل همه على عالم الإنسان وحده، وعدم الالتفات إلى الكون الذي حوله لمعرفة نفسه وذاته، مخالفًا بذلك روح القرآن الكريم «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ...»، ماراً بتلميذه أفلاطون، الوفي لتعاليم أستاذه في التمييز بين الإدراك الحسي الداخلي والخارجي الذي يعتمد

على الحواس، متقدماً الفكر الفلسفى الإسلامى الذى قرأ القرآن على ضوء التراث الفلسفى اليونانى، دون التنبه إلى تعارض روح القرآن مع روح الفلسفة اليونانية.

متقدماً موقف المعتزلة الذين حولوا همهم لإدراك الدين - وفق المنطق اليونانى - على أنه مجموعة من العقائد، متجاهلين على أنه حقيقة حيوية، معتبرين إياها جملة من الأنساق المنطقية التي تصدق أحکامه عليها أو تخالفه. عارضاً بعد ذلك سر الخلاف القائم بين الفيلسوف (ابن رشد الأندلسى) الوفى للفلسفة اليونانية العقلانية، ورأى (أبي حامد الغزالى) الناقد على العقل، الذى عده قاصراً عن إدراك الحقيقة الدينية، متجهاً إلى القلب لجلب المعرفة حول الدين<sup>(٧٦)</sup>.

ثم يعرض محمد إقبال لموقع العقل ومكانته في الإسلام فيقول : «إنَّ الهدف الرئيسي للقرآن هو أن يُوقظ في نفس الإنسان شعوراً أسمى بما بينه وبين الخالق، وبين الكون من علاقات متعددة، ولقد كان هذا المنزع التعليمي للقرآن»<sup>(٧٧)</sup>.

كما يعرج في محاضراته الستأ على القرآن يستشهد به؛ لأنَّ القرآن بالنسبة له هو معين المعرفة الكبرى الذي لا ينضب، إذن : «فَمَا طبِيعَةُ الْعَالَمِ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ كَمَا صُوَرَهُ الْقُرْآنُ ؟ إِنَّ أَوَّلَ مَا يَقْرِرُهُ هُوَ أَنَّ الْعَالَمَ لَمْ يُخْلُقْ عَبْثًا لِمَجْرِدِ الْخَلْقِ لَا غَيْرَ : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَا عِيْنَ \* مَا خَلَقْنَا هُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ »، وهذه حقيقة يجب أن تُوضعَ اعتباراً : «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ \* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً ... »، وفوق هذا فالعالم مرتب على نحو يجعله قابلاً للزيادة والامتداد: «يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ »، فليس هذا العالم كتلَةً واحدةً، وليس إنتاجاً مكتملأ، وليس جامداً غير قابل للتغيير والتبدل، بل ربما استقرَ في أعماق كيانه حلم نهضة جديدة : « قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقُ ثُمَّ الله

**يُنْشِئُ النَّسْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**. والحق أن حركات الكون واهتزازاته الخفية، وهذا الزمان السابع في صمت يبدو لأنظارنا البشرية في صورة تقلب الليل والنهار، يُعده القرآن إحدى آيات الله الكبرى : «**يُقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْبَرَةً لَا يُؤْتِي الْأَبْصَارِ**». وهذا هو السبب في أن النبي ﷺ قال : «لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله»، وهذا الامتداد العظيم في الزمان والمكان يحمل في طياته الأمل في أن الإنسان الذي يجب عليه أن يتفكّر في آيات الله سيمّ غلبيته على الطبيعة بالكشف عن الوسائل التي تجعل هذه الغلبة حقيقةً واقعة»<sup>(٦٨)</sup>.

ثم يرجع على الإنسان وغاياته في الوجود، فيرى أن: «هذه الآيات تُشير إلى أنَّ الإنسان موهوبٌ بالملائكة التي تجعل له القدرة على وضع أسماء للأشياء، أي إنَّه يكون لتصورات لها، وتكون هذه التصورات معناه إدراكتها وفهمها. فالمعرفة الإنسانية إذن معرفةٌ قائمةٌ على الإدراكية، وبفضل هذه المعرفة الإدراكية يدرك الإنسان ما هو قابل لللاحظة من الحقيقة. والأمر الجدير بالتنويه في القرآن هو توكيده لجانب الملاحظة»<sup>(٦٩)</sup>.

وعليه يمكن تلخيص فلسفة إقبال في المعالم التالية:

- ١ - اعتبار عنصر التجربة عاملاً في فهم الدين ومرجعيته المقدّسة الثابتة والمتحيّرة؛ لأنَّ الدين ليس شعوراً ولا فكراً ولا علمًا، بل هو منهج رئانيٌّ يفهم بالمارسة والتجربة الإنسانية المتكمّلة له<sup>(٧٠)</sup>.
- ٢ - إمكانية إدراك اللامتناهي بالعقل السليم الرشيد على نهج ما ذهب إليه الفيلسوف (ابن رشد)، وإذا عجز الفكر عن إدراك اللامتناهي فما ذلك إلا لأنَّه أخطأ في فهم طبيعة هذا اللامتناهي كحقيقة كامنة في الكون، وما تلك التجليات المتعددة في شتى المفاهيم المتناهية إلا فتراتٌ خاصَّةٌ أو وجهاً معيناً لتلك الحقيقة. وإلى الخطأ في فهم طبيعة الفكر الفاعلة، وهي تتفق عن ذاتها في الزمان من خلال

سلسلة التخصيصات المعينة التي يُشير إليها القرآن باسم (اللوح المحفوظ). ثمَّ في الخطأ في إدراك المفهوم الذي ينطوي عليه القرآن للعالم الحسي، والذي هو في حقيقته وجوهره مفهوم حقيقة مخلوقة، يندمج فيها الواقع والمثال ويتشابكان، فتكتشف عن مخطط عقليٍّ واضحٍ ... وبحكم أنَّ الإنسان هو أمضى قوة في العالم، وهو الفاعل الرئيسيُّ أو المشارك لله - مع فارق العبارة - في عملية نقل إمكانيات الكون اللامتناهية إلى حيز الوجود الفعلي<sup>(٧١)</sup>.

٣- الإيمان بوجود الله المنظم للعالم، وعلى الإنسان إدراك هذه الحقيقة المعقدة من خلال التجربة الروحية، ولهذه التجربة جوانب روحية ونظرية وقلبية وفلسفية صوفية، وجائب واقعيٌ ليس إلا تطبيقاً عملياً لها<sup>(٧٢)</sup>.

٤- الله طاقة خلاقة، وقوة خارقة، والذات البشرية مجموعة من الذرّات المتراكبة والمترادفة مع بعضها. كلما تعلّت الذاتية والوعي فيها، تعالى وجود الذات فباتت أقرب إلى الله تعالى، الذات المطلقة «هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ»، على عكس ما ذهب إليه الأشاعرة في النفس إلى تقسيمها إلى قسمين عرض وجواهر<sup>(٧٣)</sup>.

٥- إيمانه بحقيقة المعرفة الصوفية ككافٍ للحقيقة<sup>(٧٤)</sup>.

٦- عدم تناقض العلم والدين، وتلاقيهما في سبيل الوصول إلى الحقيقة<sup>(٧٥)</sup>، وتلاقيهما وتكاملهما للوصول إلى الاقتراب من الذات المطلقة (الله)<sup>(٧٦)</sup>.

### الجانب الثاني : إقبال الشاعر

محمد إقبال شخصية متعددة الجوانب، وهي فوق كل ذلك شخصية تنطوي على نفسية شاعرية مرهفة الحسُّ والشعور، تمزج الفلسفة بالشعر، والشعر بالفلسفة، كما تمزج التصوف بالشعر، والشعر بالتصوف ... وهو يقدّم في شعره تجاربه الوجدانية المتميزة، والتي كابدها وعاناها عاطفياً في قالب شعرى سامق، تجد فيه الصدق والحرارة واللوعة والأسى ممزوجاً ضمن أنساق عجيبة من

● شاعر الإسلام محمد إقبال، الشخصية والدور

الأدوات الشعرية والفنية واللغوية والمعرفية والوجودانية والفكريّة ... وكان أشدَّ ما يُروّعه ويؤثِّر في الفكر الإسلاميَّة الصافية، وأشدَّ ما تفعل به نفسه (الحركة الحيّة) الفاعلة النشطة في هذا الوجود<sup>(٧٧)</sup>.

وأشدَّ ما ترتّع وتهتز إلى نفسه (الذات الإنسانية)، هذه الذات الإنسانية المتوقّدة، الفاعلة النشيطة الملتّبة ... التي هي في حيويّة وحركيّة دائبة، وكان كثيراً ما يتململ وينفرُ من الجمود والمواد<sup>(٧٨)</sup>.

ولعلنا باستعراضنا أبيات من ديوانه الشهير (رسالة الشرق) اسمها (الربيع)<sup>(٧٩)</sup> نتبّئ مدى عظمة شعره من الناحية الفنّية واللغويّة والوجودانية والفكريّة، على الرغم من كونها مترجمة<sup>(٨٠)</sup>.

Helm فـإـن سـحـاب الرـبـيع يـخـيم فـوـق الرـبـى وـالـوهـاد  
وـشـدوـ العـنـادـل فـي كـلـ وـاد  
وـدـرـاجـه وـالـقطـا فـي تـهـادـي  
عـلـى حـافـة النـهـر جـذـلـى شـوـادـي  
شـقـيق وـورـد ضـحـوك يـنـادـي  
فـطـرـفـك سـرـح بـهـذـا المـرـاد

Helm فـإـن سـحـاب الرـبـيع يـخـيم فـوـق الرـبـى وـالـوهـاد  
Helm فـمـلـء الرـبـى وـالـسـهـول قـوـافـل أـزـهـارـه وـالـوـرـود  
نسـيـم الرـبـيع عـلـى كـلـ عـود  
وـلـلـطـير إـبـادـعـهـا فـي النـشـيد  
وـمـزـقـتـ الجـيـبـ حـمـرـ الـخـدـودـ  
جـنـىـ الـحـسـنـ نـاشـئـ زـهـرـ نـضـيدـ  
وـلـلـعـشـقـ إـبـادـعـ نـغـمـ جـدـيدـ

Helm فـمـلـء الرـبـى وـالـسـهـول وـصـوـتـ الـصـلاـصـلـ مـلـءـ النـسـيـمـ

دم المرج في جوفه كالحبيم  
فيما قاعداً صامتاً لا يرى  
دع الصمت واترك وقار الحليم  
وخرق المعاني اشربنَ يا سقيم  
تدَّر بورد وغنى النديم

صفير البلايل ملء الجواء      وصوت الصلاصل ملء النسيم  
دع الدور واطلب فسيح البراري      وانظر إلى صفحات الجمال  
على حافة الماء دون ملال  
تأمل ترقق ماء زلال  
وحدق إلى نرجس ذي دلال  
بنيات نisan ذات اختيال  
وقبل عيونا لها كاللآلئ

دع الدور واطلب فسيح البراري      وانظر إلى صفحات الجمال  
ثرى المرج صرح في هيجه      بما أضمرت مهج الكائنات  
فناء الصفات وكون الصفات  
وما أبدت الذات من جلوات  
وما خلته من معانٍ الحياة  
وما خلته من معانٍ الممات  
فليس له هاهنا من ثبات

ثرى المرج صرح في هيجه      بما أضمرت مهج الكائنات  
والمطلع على شعر إقبال يجده حافلا بالقيم السامية، والصور النبيلة، وشتى  
المعانٍ الجميلة، ويجده مرصعاً بمختلف القيم المعرفية والشعرية والعاطفية، ولا  
يستطيع أن يقول في شعره إلا أنه آية من آيات الشعر الإسلامي الرصين، الذي

● شاعر الإسلام محمد إقبال، الشخصية والدور

يعكس ويعبّر عن تصور الإسلام للكون وللطبيعة وللنظام وللحياة وللإنسان.

### الجانب الثالث : إقبال الداعية المفكّر

اجتمعت في شخصية محمد إقبال صفة الداعية الإسلامي المجدّد، وصفة المفكّر المجتهد، ولعله من بين دعاء ومصلحين قلائل درسوا واقع المسلمين في العالم قاطبة، ولم يكتفوا ببيئاتهم وأوطانهم، بل لعله من بين دعاء وتفكير مسلمي الهند ممّن أسسوا لقيام الكيان الإسلامي المستقل في العصر الحديث، والمتبّع لنشاطات إقبال الدعويّة سيرجذ نفسه أمام مدرسة دعويّة فاعلة متّحّركة، متنوعة الأُساليب والمناهج، لعل أهمّها:

- ١- مشاركاته الفاعلة في الجمعيات الدينية والاجتماعية والتربوية والأخلاقية.
- ٢- مشاركاته الفعالة في السياسة، ودخوله معركة الانتخابات السياسية البرلمانية.
- ٣- طبيعة المهنة والوظائف التي عمل بها طيلة حياته، كالمحاماة والتدريس وإدارة الجامعة.
- ٤- الاشتغال بال التربية والتعليم والتكوين.
- ٥- قيامه بالرحلات العلمية للدفاع عن الإسلام والمسلمين، ولعرض قضيّاً لهم على العالم.
- ٦- إقامة العلاقات الودية مع عامة الناس وخاصّتهم ومسلمهم وكافرهم.
- ٧- إقامة العلاقات الودية مع الحكام والساسة كحاكم البنجاب، الحاكم البريطاني، موسوليني، قادة الأحزاب<sup>(٨١)(٨٢)</sup>.
- ٨- التأليف والكتابة واللقاءات بأنواعها .. وقرض الشعر .. والتفكير الفلسفى.
- ٩- الدعوة لاستقلال المسلمين في كيان سياسي موحد.
- ١٠- تعلم وتعليم اللغات والكتابة والتأليف فيها كالآورديّة، البنجابيّة، الفارسيّة، العربيّة، الإنجليزية، الألمانيّة<sup>(٨٣)</sup>.
- ١١- التمسك برموز الهند الإسلامية، والتأكيد على زيارة الأضرحة والمقامات.

## الجانب الرابع إقبال المتصوف

عُرف إقبال باسم شاعر الإسلام، كما عُرف بشعره الصوفي، والبحث في الطرق الصوفية، حتى أن رسالته التي نال بها شهادة الدكتوراه كانت في التصوف عند المسلمين في بلاد فارس في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

وقد أثير الكثير عن تصوف إقبال، غير أنَّ الدارسين له وعلى رأسهم المرحوم المفكِّر الأستاذ (عباس محمود العقاد) يرى أنَّ تصوفه كان تصوفاً سنياً لا بدَّعياً؛ لأنَّ سيرته وحياته أثبتت ذلك وعكسه بوضوح في مختلف ممارساته، ما عكس فهماً واضحاً لحقيقة الزهد والتتصوف في الإسلام، كلُّ هذا أهله ليكون تصوفه تصوفاً سنياً لا بدَّعياً، وقد عمل الكثير من الكتاب على خلع مسحة الهندود والفرس على تصوفه، بحججٍ واهية كالحنين لأصله الهنودي، التي ردَّ عليها المرحوم الأستاذ العقاد في مقاله الشهير (تصوف إقبال من الهند أو من الإسلام)<sup>(٨٤)</sup>.

وقد بيَّنَ أنَّ فلسفة إقبال في التصوف قد ترَكَّزت على ما سماه بـ(إثبات الذات)، وإثبات الذات في الفلسفة الصوفية الإقليدية سبيل لمعرفة الله سبحانه وتعالى، وسبيل أيضاً لمعرفة الكون، ومحركه ومسيره، عملاً بحديث رسول الله ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربَّه»، وهو أصل من أصول الصوفية الإسلامية، بالإضافة إلى ما ورد في القرآن الكريم عن الزُّهد والتقصُّف والتتصوف. ومن ألطاف ما جاء في مقال الأستاذ العقاد قوله: «ولقد بنى إقبال فلسفته الوجودية على الحب، والفقر، والشجاعة، والسماحة، ولكنَّه فسرَ الفقر بقلة المبالاة بجزء العمل، وأمَّا الحبُّ فهو الذي يُعين على العمل بغير أملٍ في الجزاء»<sup>(٨٥)</sup>.

وتبقى دواوين إقبال الشعرية خير مخبر عن صوفيته الوجودية الإسلامية، التي تسعى إلى إلهاب وتحريك طاقات وкоامن الذات الإنسانية الفاعلة.

## خصائص ومميزات شخصية إقبال

إقبال شخصية ثرية واسعة الامتدادات، لها الكثير من مميزاتها، غير أنَّ

الأستاذ (مرتضى مطهرى) أثناء دراسته لتجربته في كتابه الشهير (الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري)<sup>(٨٦)</sup> يسجل عليه هذين المأخذين، وهما :

- ١- عدم اطلاعه الكامل على الثقافة الإسلامية.

- ٢- عدم اطلاعه عن قرب على أوضاع العالم الإسلامي، وأوضاع التيارات والحركات الإسلامية السياسية والفكرية، مع غفلته عن الكثير من تلك الحركات الإصلاحية الإسلامية. فيما ذهب الباحث (ماجد فخرى) في كتابه (تاريخ الفلسفة الإسلامية) إلى التضليل من بلاغة إقبال المفرطة والمقلقة معاً في استعمال الألفاظ الأكثر شاعرية حتى وهو بقصد معالجة قضية عقلية مجردة، ثم تناقضه في الاستشهاد بأعمدة الفلسفة لتداعيم آرائه من جهة، ثم الانقضاض بالنقد القوي عليهم ثانيةً، مع غزارة استشهاداته بمقولات غيره<sup>(٨٧)</sup>.

وبعد .. فهذا هو شاعر الإسلام محمد إقبال، مدرسة إصلاحية إسلامية جأرت بقوّة في سبيل استنهاض المسلمين، قضى كل عمره في خدمة هذا الدين فحق له أن يُخلَد في سجل الخالدين.

## الهوامش :

- (١) إقبال، محمد، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة : عباس محمود العقاد، مراجعة الشيخ : عبد العزيز المراغي، والدكتور مهدي علام، دار آسيا، بيروت، دون طبعة، ١٩٨٥م، ص ١.
- (٢) الرجاء، إمعان النظر والتأمل في النص واستكناه مراميه ومعانيه الهدافه.
- (٣) الندوى، أبو الحسن علي الحسني، رواح إقبال، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، دون طبعة وتاريخ، ص ٧.  
والمسلمون في الهند، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص ١٠٣ و ١١٧.
- (٤) الشيخ، أبو عمران، فلسفة محمد إقبال الدينية والسياسية، مجلة الثقافة الجزائرية، عدد ٧٩، السنة ١٤، ربى ثانى وجمادى أولى ١٤٠٤هـ جانفي وفيفري ١٩٨٤م، ص ١٠٤.

- (٥) المصدر نفسه، ص ١٠٤.
- (٦) الصديقي، محمد نجاة الله، الإسلام والمسلمون في الهند، مجلة الأصلة الجزائرية، عدد ٢٥، السنة ٣، جمادى أولى وثانية ١٣٩٥هـ ماي وجوان ١٩٧٥م، ص ١٥٤.
- (٧) قدور، سكينة، رسالة المشرق لمحمد إقبال، رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، معهد الحضارة الإسلامية، إشراف الأستاذ الدكتور حربي أمين سليمان، تونس، سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م، ص ١٤ و ١٥، بتصرف.
- (٨) عيساوي، أحمد، مجدد الإسلام أبو الأعلى المودودي، محاضرات مدرسية في مادة فكر إسلامي معاصر، قسم أصول الدين، السنة الرابعة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، ص ٢ و ٣ و ٤، وجريدة القبس الكويتية، مائة مليون مسلم في الهند يتعرضون للإبادة، عدد ٩٨٢، الثلاثاء، ١٢٠٤/١٢/١٩٨٨م، ص ٨.
- (٩) قدور، سكينة، رسالة المشرق لمحمد إقبال، ص ٤٤ و ٤٥، بتصرف.
- (١٠) المصدر نفسه، ص ٤٦، بتصرف.
- (١١) المصدر نفسه، ص ٤٦ و ٤٧، بتصرف.
- (١٢) المصدر نفسه، ص ٤٧، بتصرف.
- (١٣) المصدر نفسه، ص ٤٧، بتصرف.
- (١٤) المصدر نفسه، ص ٤٧، بتصرف.
- (١٥) المصدر نفسه، ص ٤٨ و ٤٩، بتصرف.
- (١٦) المصدر نفسه، ص ٤٩، بتصرف.
- (١٧) المصدر نفسه، ص ٤٩، بتصرف.
- (١٨) المصدر نفسه، ص ٤٩، بتصرف.
- (١٩) المصدر نفسه، ص ٤٩، بتصرف.
- (٢٠) المصدر نفسه، ص ٥٠، بتصرف.
- (٢١) المصدر نفسه، ص ٥٠ و ٥١، بتصرف.
- (٢٢) المصدر نفسه، ص ٥١، بتصرف.
- (٢٣) المصدر نفسه، ص ٥١، بتصرف.
- (٢٤) المصدر نفسه، ص ٥٣، بتصرف.
- (٢٥) المصدر نفسه، ص ٥٣ و ٥٤، بتصرف.
- (٢٦) المصدر نفسه، ص ٥٤، بتصرف.
- (٢٧) المصدر نفسه، ص ٥٤، بتصرف.
- (٢٨) المصدر نفسه، ص ٥٤، بتصرف.
- (٢٩) المصدر نفسه، ص ٥٤، بتصرف.
- (٣٠) المصدر نفسه، ص ٥٥، بتصرف.

- (٣١) المصدر نفسه، ص ٥٦، يتصرف.
- (٣٢) المصدر نفسه، ص ٥٦، يتصرف.
- (٣٣) المصدر نفسه، ص ٥٧، يتصرف.
- (٣٤) المصدر نفسه، ص ٥٧، يتصرف.
- (٣٥) المصدر نفسه، ص ٥٨، يتصرف.
- (٣٦) الندوي، أبو الحسن علي الحسني، رواية إقبال، ص ٤٠...٦٥، يتصرف.
- (٣٧) قدور، سكينة، رسالة المشرق لمحمد إقبال، ص ٦١ و ٦٢، يتصرف.
- (٣٨) المصدر نفسه، ص ٦٢، يتصرف.
- (٣٩) المصدر نفسه، ص ٦٢ و ٦٣، يتصرف.
- (٤٠) المصدر نفسه، ص ٦٣...٦٥، يتصرف.
- (٤١) المصدر نفسه، ص ٦٥...٦٦، يتصرف.
- (٤٢) المصدر نفسه، ص ٦٦، يتصرف.
- (٤٣) المصدر نفسه، ص ٦٧...٨٣، يتصرف.
- (٤٤) المصدر نفسه، ص ٨٧، يتصرف.
- (٤٥) المصدر نفسه، ص ٨٨، يتصرف.
- (٤٦) المصدر نفسه، ص ٩٢، يتصرف.
- (٤٧) الندوي، أبو الحسن علي الحسني، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، دار القلم، الكويت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ٧٨، يتصرف.
- (٤٨) المصدر نفسه، ص ٧٨، يتصرف.
- (٤٩) المصدر نفسه، ص ٧٨، يتصرف.
- (٥٠) المصدر نفسه، ص ٧٩، يتصرف.
- (٥١) المصدر نفسه، ص ٧٩، يتصرف.
- (٥٢) المصدر نفسه، ص ٨٠، يتصرف.
- (٥٣) المصدر نفسه، ص ٨٠، يتصرف.
- (٥٤) المصدر نفسه، ص ٨١، يتصرف.
- (٥٥) المصدر نفسه، ص ٨٢، يتصرف.
- (٥٦) المصدر نفسه، ص ٨٢، يتصرف.
- (٥٧) المصدر نفسه، ص ٨٣، يتصرف.
- (٥٨) المصدر نفسه، ص ٨٣، يتصرف.
- (٥٩) ترجمتها محمد حسن الأعظمي، ونظمها الصاوي شعلان، انظر : الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، دون طبعة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص ١٢٤، ١٢٥.
- (٦٠) حسون، علي، فلسفة إقبال، ص ٢١٥، نقلًا عن سكينة قدور، مرجع سابق، ص ٥٩، ٦٠.

- 
- (٦١) انظر : قدور، سكينة، مرجع سابق، ص ١٣٠..
- (٦٢) العقاد، عباس محمود، دراسات في المذاهب الأدبية، منشورات المكتب الإسلامي، المكتبة العصرية، بيروت، دون طبعة وتاريخ، ص ١٤٨.
- (٦٣) الشيخ، أبو عمران، فلسفة إقبال الدينية والسياسية، ص ١٠٦، بتصرف.
- (٦٤) إقبال، محمد، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص ٢ و ٣.
- (٦٥) المصدر نفسه، ص ٧.
- (٦٦) راجع محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص ٧ .. ١١.
- (٦٧) المصدر نفسه، ص ١٥ و ١٦.
- (٦٨) المصدر نفسه، ص ١٧ و ١٨.
- (٦٩) المصدر نفسه، ص ٢٠.
- (٧٠) المصدر نفسه، ص ٧.
- (٧١) فخرى، ماجد، تاريخ الفلسفة الإسلامية، الدار المتحدة للنشر، بيروت، دون طبعة، ١٩٧٤م، ص ٤٧٨ و ٤٧٩، بتصرف.
- (٧٢) المصدر نفسه، ص ٤٨٠، بتصرف.
- (٧٣) المصدر نفسه، ص ٤٨١، بتصرف.
- (٧٤) إقبال، محمد، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص ٢٥ .. ٢٨.
- (٧٥) الشيخ، أبو عمران، إقبال وفلسفته الدينية والسياسية، ص ١١٠.
- (٧٦) المصدر نفسه، ص ١١٠.
- (٧٧) قطب، محمد، منهاج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، دون طبعة وتاريخ، ص ٢٦٨.
- (٧٨) المصدر نفسه، ص ٢٦٩.
- (٧٩) المصدر نفسه، ص ٢٧٨.
- (٨٠) ترجمتها المرحوم الشاعر الناقد الدكتور عبد الوهاب عزام.
- (٨١) انظر: حياة إقبال في مطلع هذه الدراسة.
- (٨٢) انظر: سكينة قدور، مرجع سابق، ص ٥٤.
- (٨٣) انظر: حياة إقبال في مطلع هذه الدراسة.
- (٨٤) انظر: عباس محمود العقاد، دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، ص ١٤٩ ..
- (٨٥) المصدر نفسه، ص ١٥١.
- (٨٦) مطهري، مرتضى، الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري، مجلة التوحيد، عدد ٥٤، السنة ٩، محرم وصفر ١٤١٢هـ آب وأيلول ١٩٩١م، ص ١٢٢.
- (٨٧) فخرى، ماجد، مرجع سابق، ص ٤٨٢، بتصرف.